

العنوان:	النشاط العمراني في حلب زمن الظاهر غياث الدين غازي 582 - 616 هـ. / 1186 - 1316 هـ.
المصدر:	مجلة كلية الآداب
الناشر:	جامعة المنصورة - كلية الآداب
المؤلف الرئيسي:	السبيعي، فرج بن محمد بن عبد الله
المجلد/العدد:	ع64
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2019
الشهر:	يناير
الصفحات:	23 - 34
رقم MD:	1126068
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	التراث المعماري، العصر الأيوبي، التخطيط العمراني، حلب، غياث الدين غازي، سلطان الدولة الأيوبية، ت. 613 هـ.
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/1126068">http://search.mandumah.com/Record/1126068</a>

## النشاط العمراني في حلب زمن الظاهر غياث الدين غازي

٥٨٢-٦١٣هـ/١١٨٦-١٢١٦م

### د / فرج بن محمد بن عبدالله السبيعي

هو الظاهر غياث الدين غازي ابن السلطان

صلاح الدين يوسف بن أيوب، مولده بمصر في سنة ثمان وستين وخمس مئة للهجرة. كان مليح الشكل في رجولته، له عقل وغور ودهاء وفكر صائب، وكان كريماً معطاء يتحف الملوك بالهدايا السنوية، ويكرم الرسل والشعراء والقضاة، وكان عمه العادل يرعى له لمكان بنته، فماتت فزوجها بأختها والدة ابنه العزيز.

اهتم بأمر دولته في حلب ووطد سلطانه وقرب العلماء وأحسن إلى الرعية وشهد معظم غزوات والده وكان يزور الصالحين، ويتفقدهم، وله ذكاء مفرط، مات مريضاً سنة ثلاث عشرة وستمئة للهجرة عن خمس وأربعين سنة.

أوصى في موته بالملك لولده العزيز من بنت عمه العادل وأراد أن يراعيها إختوها. مكث في إمارة حلب ما يقارب واحد وثلاثون عاماً.

### المنشآت المدنية

لما تولى الظاهر غياث الدين غازي أمر حلب أولى المنشآت العمرانية عناية جيدة، حيث قام بتنفيذ أعمال عمرانية كثيرة واصلاحات واسعة جداً، فأنفق عليها الأموال الطائلة وأوقف عليها الأوقاف وجاء اهتمامه واضحاً بإنشاء المساجد والمدارس وشبكة المياة فضلاً عن ترميم وإصلاح

عواد معروف، ط٧، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج٢١، ص٢٩٦-٢٩٨.

### مقدمة:

نالت حلب حظاً وافراً في النشاط العمراني في العصر الأيوبي وخاصة إبان عهد الظاهر غياث الدين غازي فقد ازدهرت ازدهاراً شمل جميع مناحي الحياة الاقتصادية والعمرانية والتعليمية لكونه امضي ما يقارب واحداً وثلاثين عاماً في إمارتها بعد أن وحد سلطاته في حلب انصرف كلياً إلى المنشآت المدنية والعسكرية على حد سواء فأغدق الأموال الجزيلة في تشييد دور العبادة والمرافق التعليمية والدور السكنية وتنظيم قنوات الري، وكذلك شمل اهتمامه للمنشآت العسكرية فقد قام بإصلاح وترميم قلعة حلب وبناء سوراً قوياً محاط بها وتشييد القلاع والحصون وذلك لأهميتها العسكرية.

ولم تقف جهوده وإصلاحاته العمرانية على التشييد والبناء فقط وإنما قام بترميم وإصلاح بعض المرافق العامة، وأضاف إضافات عديدة على الأسوار والقلاع والحصون المجاورة لمدينة حلب.

### الظاهر غياث الدين<sup>(١)</sup>

(١) ابن الأثير، علي بن الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، تحقيق؛ مكتب التراث، ط٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٦ص٥٤٤-٥٦٣؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) سير أعلام النبلاء، تحقيق؛ بشار

غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين سنة عشر وستمئة) وقد استعمل في بنائه شتى أنواع القطع الحجرية وجهزه بمئذنة عالية يمكن استخدامها كمركز للمراقبة على مدى بعيد<sup>(٧)</sup>، ونلاحظ ان هذه المنارة العالية لها وظيفة دينية وأخرى عسكرية.

ولم يكتف بالبناء والتعمير وإنما بترميم وإصلاح بعض المرافق الهامة فقام بترميم خانقاة<sup>(٨)</sup> قريبة من الجامع الكبير في حلب<sup>(٩)</sup>.

#### - المدارس:

- أولى الظاهر غياث الدين غازي المرافق التعليمية عناية فائقة، وتوج أعماله العمرانية في هذا الجانب ببناء عدد من المدارس في حلب حيث بنى المدرسة الظاهرية سنة ٦١٠هـ/١٢١٧م<sup>(١٠)</sup> ومخطط هذه المدرسة مؤلف من الطابق الأرضي والطابق الأول والمدخل والصحن والايوان والرواق والقاعة وهي مبنية

(٧) الغزي، نهر الذهب، ج٢، ص٣٤.

(٨) الخوانق: مفردا خانقاه؛ وهي كلمة فارسية معناها في الاصل المائدة، وقيل أصلها خونقاة: أي المكان الذي يأكل فيه الملك، وجعلت تخلي الصوفية العبادة لله تعالى: دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية عصر المماليك، ط١، دمشق، دار الفكر، ١٩٤١هـ/١٩٠٠م، ص٧٤.

(٩) الطباخ الحلبي، إعلام النبلاء، ج٢، ص١٨٦.

(١٠) ابن واصل، محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/ ٢٩٧م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشياك، القاهرة، دار القلم، ١٩٦٠م، ج٣، ص٩

بعض المرافق الخدمية التي تم إنشائها في عهد سابقة لعهد ومن هذه المنشآت:

- المساجد: تذكر بعض المصادر التاريخية ان الظاهر غياث الدين غازي قام بتشيد مسجد عند الباب الصغير في حلب<sup>(١)</sup> وآخر داخل حلب<sup>(٢)</sup> كما أنشأ المسجد الكبير والذي يقع بالقرب من قلعة حلب<sup>(٤)</sup>، ويتألف هذا المسجد من قبلية وفسحة داخلية سماوية في وسطها بحرة ماء، ويحيط بها رواق داخله غرف ذات نوافذ صغيرة<sup>(٥)</sup>، وقد كتب على بابه<sup>(٦)</sup> (أمر بعمله مولانا السلطان الملك العالم العادل المجاهد المؤيد المظفر المنصور غياث الدين والدين أبو المظفر

(١) ابن العديم، عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م، ج٢، ص٢٤٣؛ ابن الحنبلي، محمد بن إبراهيم (ت ٩١٧هـ / ٤٥٩م) الزبدة والضرب في تاريخ حلب، تحقيق: محمد التويخي، ط١، الكويت، مركز المخطوطات والتراث، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨، ص١١٣

(٢) ابن الشحنة، أبي الفضل محمد (ت ٨٩٠هـ/ ٤٨٥م) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دمشق، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص١٠٤؛ الغزي، كامل البالي (ت ١٠٩٤هـ/ ١٦٦٥م)، نهر الذهب في تاريخ حلب، علق عليه: شوقي شعث، ط٢، حلب، دار القلم العربي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٣ ص٣٣.

(٤) الغزي، كامل البالي، نهر الذهب، ج٣ ص٣٣.

(٥) شعث، شوقي، حلب تاريخها ومعالمها التاريخية، ط٢، حلب، منشورات جامعة حلب، ١٩٨٤م، ص١٠١.

(٦) الغزي، نهر الذهب، ج٢، ص٣٣؛ الطباخ الحلبي محمد راغب، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ط٢، حلب، دار القلم العربي، ج٢، ص٢٢٥.

المدرسة<sup>(١٦)</sup> وهي مبنية بالحجارة المحكمة وفيها جودة التركيب وحسن الرخام<sup>(١٧)</sup> ووصف هذه المدرسة تتألف من صحن في وسطه حوض مستطيل الشكل وتحيط بالصحن المباني التي تختلف في أسلوب بنائها وضخامتها وفيها مساكن للطلاب.

ومن الأعمال الانشائية التي قام بها الظاهر غياث الدين غازي المدرسة الهروية والتي تقع في حي الفردوس<sup>(١٨)</sup> شيدت سنة (٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م)، كما أنشأ في عهده عدة مدارس منها مدرسة الفردوس أنشأتها ضيفه خاتون<sup>(١٩)</sup> بنت العادل سيف الدين<sup>(٢٠)</sup> وبناء هذه المدرسة متقن وواسع الأرجاء لها مدخلان من الشرق والآخر من

بالحجارة المحكمة واستخدمت الزخرفة<sup>(١١)</sup> وأنشأ الى جانب هذه المدرسة تربة ليدفن فيها من يموت من الملوك والامراء<sup>(١٢)</sup>.

الجدير بالذكر أن هذه المدرسة هي أول مدرسة يتحول فيها دهليز المدخل إلى بوابة بشكل ايوان، وهي أول مدرسة تسقف فيها القبليّة بثلاثة قباب، كما أنها أول مدرسة بثلاث أو اوين ورواقين، وفيها ظهرت أول عقود وحنايا ركنية ليس في مدارس حلب وحسب إنما في حلب<sup>(١٣)</sup>، وتوفرت في هذه المدرسة الانارة والتهوية فأثار الممر الذي تفتتح عليه الغرف من منافذ مغلقة، أما الغرف فتأخذ النور من منافذ على شكل مرامي السهام المستعملة في القلاع، وهذا يدل على أن هذه المدرسة تميزت بشكل عمراني خاص.

كما شرع الظاهر غياث الدين غازي في بناء المدرسة السلطانية<sup>(١٤)</sup> وتعرف هذه المدرسة بالظاهرية<sup>(١٥)</sup> لكن منيته سبقته قبل اتمام هذه

(١٦) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ١ قسم ١، ص ١١٤.

(١٧) أطلس، محمد أسعد، الآثار الاسلامية التاريخية في حلب، دمشق، مطبعة الترقى، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، ص ٧٥.

(١٨) كرد، محمد كرد، خطط الشام، دمشق، مطبعة الترقى، ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م، ج ٦، ص ١٠٦.

(١٩) ضيفة خاتون: هي ابنة العادل سيف الدين أبي بكر محمد أخي صلاح الدين، وزوج الظاهر غياث الدين غازي بن صلاح الدين، ووالدة العزيز بن الظاهر غازي، ولدة سنة ٥٨٢هـ أو ٥٨١هـ وماتت سنة ٦٤٠هـ وقد ملكت حلب بعد وفاة ابنها العزيز وقامت بالملك أحسن قيام مدة ست سنوات. وتوفيت في السنة المذكورة سابقاً. الحنبلي، أحمد بن إبراهيم (ت ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: مديحة الشراوي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٦م، ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٢٠) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٣، ص ١٠؛ كرد محمد، خطط الشام، ج ٦، ص ١٠٦.

(١١) الجاسر، لمياء. مدارس حلب الأثرية، ط ١، حلب، دار الرضوان، ص ١٨٢-١٨٣.

(١٢) بن شداد، عزالدين محمد ابن علي (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق: دومينيك سورويل، دمشق، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، ١٩٥٣م، ج ١ قسم ١، ص ٥٩.

(١٣) الجاسر، لمياء، مدارس حلب، ص ١٨٤.

(١٤) الصفدي، صلاح الدين خليل (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) الوافي بالوفيات اعتناء ديدر بنغ، ط ٢، المانيا فرانز شتايز، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج ٤، ص ١٦٤.

(١٥) الطباخ، محمد راغب، إعلام النبلاء، ج ٢، ص ٢٣٣.

يذكر أن الظاهر غياث الدين أنشأ حي كامل أطلق عليه الظاهرية قد أحضر مماليك اشتراهم واختط لهم حياً خاصاً فقد أمر الظاهر غياث الدين بإحضار المهندسين والصناع والعمال وأهل الخبرة في شؤون البناء ومختلف الصناعات من كافة الأمصار<sup>(٢٥)</sup>.

ولم يقتصر نشاطه العمراني على إنشاء هذا الحي وإنما بناء دار تسمى دار العدل لجولسه العام فيها ، وكان ذلك في سنة ٥٨٥هـ/١١٩٤م<sup>(٢٦)</sup> وشيد داراً تعرف بدار العز<sup>(٢٧)</sup> وكان في مكانها دار للسلطان نور الدين محمود بن زنكي تسمى دار الذهب<sup>(٢٨)</sup>، وكانت هذه آية في الجمال من حيث العمارة وما فيها من الرخام والبركة والغوارة<sup>(٢٩)</sup>.

ويقول ابن الشحنة<sup>(٣٠)</sup> في هذا المسكن ( دار العز ) (فاقتصرت منها على ما يعلم منه حسن هذه الدار).

وفي سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م احترقت دار العز واحترق ما في داخلها من فرش وذهب والآلات

<sup>(٢٥)</sup> ابن الشحنة، الدرر المنتخبة، ص ٣٤ ؛ الحلبي، سبط بن العجمي، كنوز الذهب، ج ١، ص ٥٨٢.

<sup>(٢٦)</sup> الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج ٢، ص ٣٧.

<sup>(٢٧)</sup> ابن العديم، زبدة حلب، ص ١٧؛ ابن الحنبلي الحلبي، الزبدة والضرب، ص ١١٩.

<sup>(٢٨)</sup> ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ١ قسم ١، ص ٢٥، ابن الشحنة، الدرر المنتخبة، ص ٥٢.

<sup>(٢٩)</sup> ابن العديم بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٢، ص ٢٤٧.

<sup>(٣٠)</sup> ابن الشحنة، الدرر المنتخبة، ص ٥٣.

الغرب وفيها الديوان وممر ذو سقف نصف اسطواني يؤدي الى صحن واسع مربع الشكل في وسطه حوض ماء مثن الشكل ويحيط بالصحن رواقان أحدهما في الطرف الشرقي والثاني من الغربي، ورواق في الجنوب أمام القبلىة أما في الشمال صحن<sup>(٢١)</sup>. كذلك أسهم بعض العلماء والأثرياء في بناء المدارس في حلب ومنهم سيف الدين علي بن علم الدين بن جندر الذي أنشاء المدرسة السيفية سنة (٥٩٨هـ/١٢٠١م) ونسبت هذه المدرسة باسمه<sup>(٢٢)</sup>، كما شيد بهاء الدين بن شداد المدرسة الصاحبية سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م)<sup>(٢٣)</sup>.

#### - الدور:

امتازت مساكن الحلبيين القدماء بأنها كانت واسعة، وهي تتشابه في مخطط بنائها، المؤلف من الدهليز، الذي يفتح على فناء داخلي يسمى الصحن، وهو من أهم مميزات عمارة المساكن العربية الإسلامية التي تجعل هذه العمارة أكثر تكليفاً مع ظروف المناخ، حيث بركة الماء الكبيرة تتوسط الصحن، ثم الديوان، وهو عبارة عن قاعة بدون جدار منفتحة على الصحن يركن إليها أهل البيت وضيوفهم<sup>(٢٤)</sup>.

<sup>(٢١)</sup> أطلس، محمد، الآثار الإسلامية التاريخية، ص ٧٨.

<sup>(٢٢)</sup> الصفدي، الفوافي بالوفيات، ج ٣، ص ١٧٣.

<sup>(٢٣)</sup> ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ١٣٤.

<sup>(٢٤)</sup> الحمص، فايز، حلب القديمة، دمشق، منشورات المديرية العامة للآثار والمناطق، ١٩٨٣م، ص

بحيث تكون في ظل دائماً<sup>(٣٥)</sup>. يذكر أن الظاهر غياث الدين شديد سوقاً في حلب تباع فيها الغلات والمحاصيل الزراعية والحطب<sup>(٣٦)</sup>.

#### - الحمامات:

لقد كانت الحمامات من المنشآت العمرانية البارزة في حلب وتميزت حماماتها بالمساحة الكبيرة، وللحمامات أهمية خاصة لدى المسلمين لأنها ترتبط لديهم بتعاليم الدين الإسلامي الذي كان من أبرز تعاليمه الحث على النظافة.

وتعد الحمامات من المؤسسات الاجتماعية الهامة التي تكون منها النسيج العمراني في حلب ونظراً لشدة الحاجة إليها في أغراض النظافة والتطهير من ناحية، وعدم احتواء الغالبية العظمى من البيوت عليها من الناحية الأخرى<sup>(٣٧)</sup>.

وقد شهدت الفترة الأيوبية القدر الأكبر من إنشاء الحمامات العامة لاسيما في عهد الظاهر غياث الدين الذي أجرى المياه إلى مدينة حلب الأمر الذي أدى إلى انتشار المياه بصفة عامة

والاواني وغيرها من الأشياء الثمينة<sup>(٣١)</sup> فأمر الظاهر غياث الدين بتجديد بنائها مرة أخرى واستبدل الاسم الأول دار العز إلى اسم آخر وهو دار الشخوصي لكثرة ما كان من زخارفها الجميلة<sup>(٣٢)</sup> ومساحتها أربعون ذراعاً في مثلها<sup>(٣٣)</sup>. وشيد حول هذا الدار أي دار العز عدداً من البيوت وبساتين كبيرة فيها أنواع الزهور وأصناف الأشجار<sup>(٣٤)</sup>.

#### - الأسواق:

عرفت مدينة حلب منذ عصور قديمة بنشاطها التجاري، بسبب موقعها الاستراتيجي المهم الذي يسيطر على طرق المواصلات فهي ملتقى التجار القادمين من العراق أو دمشق أو بلاد الروم، وكان لهذا الموقع المهم أثره في إنشاء الأسواق فيها.

وكان من أهم الأعمال الظاهر غياث الدين في مجال الإنشاءات العمرانية بناء الأسواق فكانت على درجة عالية من الهندسة المعمارية فكانت واسعة ومنظمة ومرتبطة ومسقوفة بالخشب

(٣٥) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، تحفه الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار، تحقيق: عبدالهادي التتازي، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج ٢، ص ١٧٦.

(٣٦) الحلبي، سبط بن العجمي، كمنوز الذهب، ج ١، ص ٥٨٦؛ ابن الشحنة، الدرر المنتخبة، ص ٤٥.

(٣٧) معوض، منصور محمد، الحمامات العامة بمدينة حلب، ط ١، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ٢٠١٣م، ص ٢٣.

(٣١) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام حوادث (٦١١-٦٢٠هـ) تحقيق: عمر عبدالسلام، ط ١، بيروت دار الكتاب العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ١٥٩.

(٣٢) ابن الجنبلي، الحلبي، الزبدة والضرب في تاريخ حلب، ص ١١٩؛ الغزي نهر الذهب، ج ٣، ص ٥٦.

(٣٣) الحلبي، سبط بن العجمي، كنوز الذهب، ج ١، ص ٥٨٣.

(٣٤) ابن العديم، زبدة حلب من تاريخ حلب، ص ١٨؛ الطباخ، محمد راغب، اعلام النبلاء، ج ٢، ص ٢٣٣.

بإحضار أصحاب المهن من صناع وحرفيين ونجارين وعمال من مدينة دمشق<sup>(٤٣)</sup>، ويبدو لي أن الاستعانة بالعمال من دمشق أكثر خبرة ومعرفة وحينما وصل العمال إلى حلب سار الظاهر غياث الدين بنفسه معهم إلى أصل القناة ومنبع المياه وأمر الظاهر غياث الدين بحساب المسافة من أصل القناة حتى مدينة حلب فكانت خمسة وثلاثين ألف ذراع<sup>(٤٤)</sup>، فقسم هذه المسافة إلى أجزاء وجعل كل جزء يشرف عليه رئيساً معه حرفيين من صناع وغيره ونقل إليهم الأحجار والزيت والآجر بعد أن نصبوا خيامهم على حافة القناة<sup>(٤٥)</sup>، وتم إصلاح جميع مسالك المياه وزين مواضع الماء حتى وصلت المياه إلى حلب وغطيت ببلاط من الحجر لتخفيض الكمية الضائعة وتنقيها وشرب الماء منها<sup>(٤٦)</sup>، كما شيد مصنعاً كبيراً للماء الحلو داخل قلعة لكي يستفيد منه الناس<sup>(٤٧)</sup>.

(٤٣) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٢، ص ٢٤٤؛ ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ١٤٤.

(٤٤) ذراع، يبلغ طول الذراع ٥٤،٠٤ سم بالضبط، فالترهنتس، المكابيل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، ط ٢، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م، ص ٨٣.

(٤٥) ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص ١٤٤؛ الغزي، نهر الذهب، ج ٣، ص ٦٨.

(٤٦) ابن العديم، زبدة حلب من تاريخ حلب، ص ١٧؛ ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ١٤٥.

(٤٧) ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص ٣٢.

ووصل عدد الحمامات في عهده إلى حوالي مئة وأربع وستون حماماً<sup>(٣٨)</sup>.

ويذكر الظاهر غياث الدين شيد عدداً من الحمامات حول البساتين التي أنشأها في حلب سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م<sup>(٣٩)</sup> وتشير بعض المصادر أن عدد الحمامات حول البساتين خمسة وعشرون حماماً<sup>(٤٠)</sup>، وهذا العدد من الحمامات دليل واضح على النشاط العمراني في عهد الظاهر غياث الدين.

#### - المنشآت المائية:

قناة حلب، تعد قناة حلب من أهم المصادر الرئيسية التي كانت تمد مدينة حلب قديماً بالمياه وتعرف هذه القناة أيضاً باسم قناة جيلان<sup>(٤١)</sup> لأنها تتبع منها، فقد أهتم بها حكام وولادة حلب على مر العصور الإسلامية على اعتبار أنها الشريان الرئيسي الذي يغذي مدينة حلب<sup>(٤٢)</sup>.

وفي عهد الظاهر غياث الدين غازي أهتم بأمر القناة اهتماماً كبيراً وبذل المال في سبيل إصلاح هذه القناة ففي سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م أمر

(٣٨) نصري، عبد الهادي، دراسة عن الحمامات، حلب، مجلة جمعية العاديات، ١٩٩٩م، ص ٢٣.

(٣٩) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ٣٤، ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص ٥٣.

(٤٠) الطباخ، محمد راغب، اعلام النبلاء، ج ٢، ص ٢٣٤.

(٤١) جيلان: قرية تقع شمال حلب على بعد ثمانية أميال منها، الحموي، ياقوت بن عبد الله (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٣٨١.

(٤٢) معوض، منصور، الحمامات العامة، ص ٦٠.

- الآبار:

من أهم الآبار التي شيدها الظاهر غياث الدين غازي بئر تعرف (بالساطورة)، يأتيه الماء من قناة حلب شمالي القلعة التي تمر تحت الأرض إلى الخندق، حيث تصب المياه في قناة من قنوات القلعة تنتهي بهذه الساطورة وهي عبارة عن خزانات عظيمة للمياه تحت الأرض<sup>(٤٨)</sup>، يبلغ عرض بعضها ١٥م وارتفاعها ٧م بطول ٣٧م وعمق المياه عن سطح الأرض ٦٠ متراً ويلتف حول البئر سلم نحتت كلها في الصخر، وصنعت لتقاوم عوامل التعرية نظراً لتباعد أطراف البئر، وكان الماء يستخرج من هذا البئر بواسطة دولا ب مستدير تديره دابة<sup>(٤٩)</sup>.

- القساطل<sup>(٥٠)</sup>:

قام الظاهر غياث الدين بعد اصلاح القناة المائية وترميمها واتصلت المياه بحلب أمر ببناء القساطل فكان أول قسطل بني في عهد الظاهر غياث الدين على باب الأربعين طوله من الشرق إلى الغرب عشرون ذراعاً ثم ساق هذه القناة إلى

حوضاً كبيراً تم بناءه أثناء تصليح القناة<sup>(٥١)</sup>، وشملت القساطيل جميع أحياء حلب والمرافق العامة من مدارس ومساجد وأسواق. وهكذا عم نفع هذه المنشآت المائية جميع سكان حلب وحتى الحواضر<sup>(٥٢)</sup> مثل: السليمانى والكلاسة وما بينهما وما كان عامراً في تلك النواحي فقد أشاد بعض الشعراء بالأعمال الجليلة التي أمر بها الظاهر غياث الدين فقال أبوالمظفر<sup>(٥٣)</sup> بن محمد الواسطي.

روى ثرى حلب فصارت روضة  
أنفا وكانت تشكو الظما  
أحيا موات ترباتها فكأنه  
عيسى بإذن الله أحيا الأعظما  
لا غرو ان جرى القناة جداولاً  
فلما لما بقناة أجرى الرما<sup>(٥٤)</sup>

(٥١) الحلبي، سبط بن العجمي، كنوز الذهب، ج ١، ص ٥٨٣؛ ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص ١٤٠ - ١٤٥.

(٥٢) حاضر حلب: هو الحاضر الواقع بظاهر حلب ويعرف قديماً بحاضر السليمانية وهو ربيضا (ابن العديم، زبدة حلب من تاريخ حلب)، ص ١٥.

(٥٣) لم أعث له على ترجمة.  
(٥٤) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج ١، قسم ١، ص ٣٣؛ ابن الحنبلي، الحلبي، الزبدة والضرب في تاريخ حلب، ص ١١٥.

(٤٨) العطار، محمد نادر، قلعة حلب، الرياض، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٦٩.

(٤٩) العطار، محمد، قلعة حلب، ص ٦٩.

(٥٠) القسطل؛ هو اسطوانة مصنوعة من التراب الأحمر الذي لم يسبق استخدامه يعجن بماء كاف ويخمر ثم يحرك ويعمل منه أنواع القساطل بواسطة قالب لها مخصوص مجوف (كيال، منير، الحمامات الدمشقية، دمشق وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٦م، ص ٢٧٦).

## - المنشآت العسكرية قلعة حلب:

كانت قلعة حلب محط اهتمام سلاطين بنو أيوب وبلغت ذروتها في عهد الظاهر غياث الدين غازي فقد نالت حظوظاً كبيرة في عهده سواء المنشأة المدنية أو العسكرية.

فتشير بعض المصادر التاريخية<sup>(٥٥)</sup> أن الظاهر غياث الدين أمر بتحصين القلعة ومنها حفر الخندق حولها وهذا الخندق عبارة عن حاجز مائي لكي يحفظ القلعة من أي هجوم، وكذلك قام الظاهر غياث الدين بتحرير خندق الروم، وسمي بخندق الروم؛ لأن الروم حفروه لما نزلوا على حلب أيام سيف الدولة الحمداني سنة ٣٥١هـ/٩٦١م حيث أمر برفع التراب من الخندق أثناء تحريره وإلقائه إلى شفير هذا الخندق مما يلي المدينة فارتفع ذلك المكان وسفح إلى الخندق فعمق واتسع، ومن حرص الظاهر غياث الدين على إتقان العمل كان يشرف بنفسه على العمارة وبني للقلعة سوراً قوياً محكماً يقاوم رشقات المنجنيق خارج السور القديم الذي بنى عهد السلطان نور الدين محمود الزنكي وأمر بتجديده وترميمه وتحصينه بالحجارة<sup>(٥٦)</sup>.

كما بنى الظاهر غياث أماكن يجلس فيها الجند وارباب الدولة، أيضاً مساكن لهم داخل القلعة، وكانت معلقة بها آلات الحرب<sup>(٥٧)</sup>.

كما بنى ممشى من شمالي القلعة إلى باب الأربعين وهو طريق تحت الأرض لاتسلك إلا في الضرورة وكأنه باب السر<sup>(٥٨)</sup>. ووصف ابن جبير<sup>(٥٩)</sup> سور قلعة حلب بقوله (وسورها الأعلى كله أبراج منتظمة فيها العلالى المنيعه، والقباب المشرفة، وقد تفتحت كلها طيقانا، وكل برج منها مسكون، وداخلها المساكن السلطانية والمنازل الرفيعة.

### - الأبراج:

تضم قلعة حلب عدداً من الأبراج والمداخل منها ما هو برج منفرد ومنها ما هو متصل بسور القلعة وتكون هذه الأبراج بارزة إلى الأمام، والهدف من بناء الأبراج هو الدفاع عن القلعة وحمايتها من الأعداء<sup>(٦٠)</sup>. وحينما تولى الظاهر غياث الدين أمر حلب شيد عدداً من الأبراج جعلها على السور الأول وكتب كل برج اسم كل أمير أو كله ببناء وعمارة هذا البرج، وهي أبراج

<sup>(٥٧)</sup> الحلبي، سبط بن العجمي، كنوز الذهب، ج ١، ص ٥٨٦.

<sup>(٥٨)</sup> الغزي، نهر الذهب، ج ٢، ص ٢٥.

<sup>(٥٩)</sup> ابن جبير، محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/٢١٧م) رحلة بن جبير، بيروت، دار صادر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص ٢٢٦.

<sup>(٦٠)</sup> شعث، شوقي، حلب تاريخها ومعالمها التاريخية، ص ١٠٥.

<sup>(٥٥)</sup> ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٢، ص ٢٤٨؛ ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ١١٤؛ الغزي، نهر الذهب، ج ٢، ص ١١.

<sup>(٥٦)</sup> ابن العديم، زبدة الطلب، ص ٤٥١، ابن شداد، الأعلام الخطيرة، القسم ١، ص ١١٥، ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص ٣٧.

التعديلات منها استحداث أربعة أبواب كل باب بدركاه<sup>(٦٦)</sup> بدلاً من البابين، وبناء على الأبواب الأربعة أبراج وأزال ما في خارجه من الرمال والتلال وأطلق عليه باب النصر<sup>(٦٧)</sup>.

وعمل باب دار العدل كان الظاهر غياث الدين لا يخرج لا منه وسمي باب المقام لكنه توفي قبل إتمام عمله<sup>(٦٨)</sup>.

وشيد باب القناة ويعرف بباب الحديد وسمي بهذا الاسم نسبة للقناة التي حفرها الظاهر غياث الدين وتعبّر منه<sup>(٦٩)</sup>. ولم يقتصر عمله على إنشاء الأبواب وإنما قام بترميم وإصلاح بعض أبواب القلعة القديمة، مثل باب العراق وباب الصغير وباب الأربعين، فقد قام الظاهر غياث الدين ببسط ما بينهما من تلال والتراب الذي أخرجه من خندق الروم<sup>(٧٠)</sup>.

ولم تقتصر جهود الظاهر غياث الدين غازي على مدينة حلب وأطرافها إنما اهتم بالقلاع والحصون المجاورة لحلب، فقد نال حصن

محكمة البناء<sup>(٦١)</sup>. كما بنى أبراجاً جديدة من باب الجنات إلى باب النصر<sup>(٦٢)</sup>.

#### - الأبواب:

وهي على نوعين، إما أن تكون من النوع الذي يفتح أفقياً بشكل دائري مثل أبواب المنازل والقصور وعادة تكون حديدية من درفتين وتزين بالنقوش والمسامير وإما أن تكون الأبواب من نوع القضبان الحديدية المشبكة<sup>(٦٣)</sup>، قام الظاهر غياث الدين بإنشاء بعض الأبواب للقلعة والبعض عمل على تجديدها وإصلاحها والتي أنشئت في عصور سابقة لعصره، فأسس باباً بالقرب من برج الثعابين وأطلق عليه باب الفراديس، وكان يباشر الإشراف على العمارة بنفسه<sup>(٦٤)</sup>.

كما أنشأ باب النصر وكان يعرف قديماً بباب اليهود لأن محال اليهود من داخله ومقابرهم من خارجه، وكان عليه بابان يخرج منهما إلى باشورة<sup>(٦٥)</sup> وقام الظاهر غياث الدين ببعض

(٦١) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٢، ص ٢٤٨؛ ابن شداد، الأعلام الخطيرة، قسم ١، ج ١، ص ٣١.

(٦٢) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، قسم ١، ج ١، ص ٣٢؛ ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص ٥١.

(٦٣) العطار، محمد، قلعة حلب، ص ٣٧.

(٦٤) ابن العديم، زبدة حلب في تاريخ حلب ص ٢٤٣؛ الغزي، نهر الذهب، ج ٢، ص ٢٧.

(٦٥) الباشورة: طريق ضيق منعطف متعرج متصل بالباب من خارجه وله أبواب ضخمة متينة. ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص ٤٥، الشهابي، قتبة، أبواب دمشق وأحداثها التاريخية، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٦م، ص ٤٨.

(٦٦) الدرگاه: مناها البهو الذي يلي الباب أو ساحة أمام القصر، الريحاوي، عبدالقادر، قلعة دمشق، دمشق، مطبوعات هيئة التدريس، ١٩٧٩م، ص ٢٧، ابن شداد، الأعلام الخطيرة، قسم ١، ج ١، ص ٣٢.

(٦٧) ابن العديم، زبدة حلب، ص ٤٥١؛ ابن شداد، الأعلام الخطيرة، قسم ١، ج ١، ص ٣١؛ ابن الشحنة، الدرر المنتخب، ص ٥٢.

(٦٨) ابن الحنبلي، الحلبي، الزبدة والضرب في تاريخ حلب، ص ١١٨.

(٦٩) الحلبي، سبط بن العجمي كنوز الذهب، ج ١، ص ٥٨٦.

(٧٠) الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (٦١١-٦٢٠هـ) ص ١٥٩.

وبينت الدراسة أن الظاهر غياث الدين غازي أعاد ترميم وإصلاح قلعة حلب وحصنها وأنشأ حياً يعرف بالظاهرية نسبة إلى الظاهر.

أظهرت الدراسة أن الظاهر غياث الدين غازي بذل الأموال الطائلة في سبيل تعمیر حلب وترميم بعض المرافق العامة.

### فهرس المصادر والمراجع

ابن الأثير، علي الكرم (ت ٦٣٠هـ/٢٣٢م).

١- الكامل في التاريخ، تحقيق: مكتب التراث، ط٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

ابن بطوطة، محمد بن عبدالله (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)  
٢- تحفة المنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار، تحقيق: عبدالهادي التازي، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

ابن جبیر محمد بن أحمد (ت ٦٢٦هـ/١٢١٧).

٣- رحلة ابن الجبير، بيروت، دار صادر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).  
٤- معجم البلدان، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

الطبي، سبط بن العجمي (ت ٨٨٤هـ/١٤٧٦م).  
٥- كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق: شوقي شعث، حلب، دار القلم العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

الحنبلي، أحمد بن إبراهيم (ت ٨٧٦هـ/١٤٧١م).

حارم<sup>(٧١)</sup> اهتماماً كبيراً وعناية جيدة حيث جدد بناء حصن حارم وغير شكله وبنى أبراجه مربعة وشيده وجعله مدوراً بعضه على جبل وبعضه على رصيف مبني بالحجارة، وصارت من أحسن القلاع<sup>(٧٢)</sup> ومن القلاع التي أولها عناية الظاهر غياث الدين قلعة عزاز<sup>(٧٣)</sup> شيدها من الحجر وحصنها حيث عزز السور بأبراج بارزة<sup>(٧٤)</sup>.

### الخاتمة

انتهت هذه الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها مايلي:

أظهرت الدراسة أن الظاهر غياث الدين غازي أولى النشاط العمراني عناية فائقة في حلب أكثر من غيره من بني أيوب.

كشفت هذه الدراسة أن النشاط العمراني الذي قام به الظاهر غياث الدين غازي في حلب لم يقتصر على مرافق معينة وإنما شمل بناء دور العبادة والمدارس والمنازل.

ويتضح من هذه الدراسة أن الظاهر غياث الدين غازي أهتم بقناة المياه في حلب وإصلاح مسالك المياه حتى وصل الماء إلى بيوت حلب.

(٧١) حارم: قلعة في الشمال الشرقي من مدينة إلب في سوريا وعلى بعد ٦٠ كيلاً منها وتسيطر على الطريق بين أنطاكية وحلب، الساطع، أكرم، حصون وقلاع.

(٧٢) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٢ ص ٣٣٨.

(٧٣) عزاز: بلدة فيه قلعة ولها رستاق، الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٣٢، تقع شمال غربي حلب على مسافة ٤٧ كيلاً، طبيعة الهواء عذبة الماء، الساطع، أكرم، حصون وقلاع.

(٧٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٢٦٣.

- ٦- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: مديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٦م.
- الحنبلي الحلبلي، محمد بن إبراهيم (ت ٩٧١هـ/ ٤٥٩م)
- ٧- الزبدة والضرب في تاريخ حلب، تحقيق: محمد التويحي، ط١، الكويت، مركز المخطوطات والتراث، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).
- ٨- سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد، بيروت، مؤسسة الرسالة ٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- ٩- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام حوادث ووفيات (٦١١-٦٢٠هـ) تحقيق: عمر تدمري، بيروت دار الكتاب العربي ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- ابن الشحنة أبي الفضل محمد (ت ٨٩٠هـ/ ٤٨٥م).
- ١٠- الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دمشق، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- ابن شداد، محمد بن علي (ت ٦٨٤هـ/ ٢٨٥م).
- ١١- الاعلاق الخطيرة في زكر، أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: دومينيك ستووديك، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسة العربية، ١٩٥٣م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل (ت ٧٦٤هـ/ ٣٦٣م)
- ١٢- الوافي بالوفيات، اعتناء: ديدر بنغ، ط٢، المانيا فرانز شتايز، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- ابن العديم، عمرو بن أحمد (ت ٦٦٠هـ/ ٢٦٢م).
- ١٣- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٨م.
- ١٤- زبدة الحلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل منصور، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- ابن واصل، محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/ ٢٩٧م).
- ١٥- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشياك، القاهرة دار القلم، ١٩٦٠م.
- المراجع:**
- ١٦- أطلس، محمد أسعد، الآثار الإسلامية التاريخية في حلب، دمشق، مضيعة الترقى، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.
- ١٧- الجاسر، لمياء، مدراس حلب الأثرية، ط١، حلب، دار الرضوان .
- ١٨- الحمصي، فايز، حلب القديمة، دمشق، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، ١٩٨٣م.
- ١٩- الديحاوي، عبد الهادي، قلعة دمشق، دمشق، هيئة التدريب، ١٩٧٩م.
- ٢٠- الساطع، أكرم، حصون وقلع.
- ٢١- شعث، شوقي، حلب تاريخها ومعالمها التاريخية، ط٢، حلب منشورات جامعة حلب، ١٩٨٤م.
- ٢٢- الشهابي، قتيبة، أبواب دمشق وأحداثها التاريخية، دمشق منشورات وزارة الثقافة ١٩٩٦م.

- ٢٣- الطباخ، محمد راغب، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ط٢، حلب دار القلم العربي.
- ٢٤- العطار، محمد نادر، قلعة حلب، الرياض، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- ٢٥- الغزي، كامل البالي، نهر الذهب في تاريخ حلب، علق عليه: شوق شعث، ط٢، حلب، دار القلم العربي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- ٢٦- قالت، هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة: كامل العسلي، ط٢، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧م.
- ٢٧- كرد، محمد كرد، خطط الشام، دمشق، مطبعة الترقى، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م.
- ٢٨- معوض، منصور محمد، الحمامات العامة بمدينة حلب، ط١، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ٢٠١٣م.
- ٢٩- نصري، عبدالهادي، دراسة عن الحمامات الحلبية، حلب، محلية جمعية العاديان، ١٩٩٩م، ص ٢١.